

المؤتمر العالمي الثامن للوحدة الإسلامية

(96) - لهداية الإنسان إلى سبل السلام وسعادة الرضوان، ومقتضى قانون السنخية بين الفيض والمستفيض هو أن يوجد المفسر أرضية صالحة في نفسه حتى تحصل له أهلية الاستفاضة من القرآن وتعاليمه السامية، وهذا الشرط هو ما عناه المفسرون بعلم الموهبة؛ يقول جلال الدين السيوطي- وهو يبيِّن شروط التفسير-: الخامس عشر علم الموهبة، وهو علم يورثه □□ تعالى لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بحديث "من عمل بما علم ورثه □□ علم ما لم يعلم"، وفي هذا المعنى قوله تعالى: ?سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِرَغْوٍ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً لَّا يُؤْمِنُوهَا وَإِنْ يَرَوهَا سَبِيلَ الرَّشْدِ لَّا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوهَا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ? (1). القاعدة الثانية: التدبير في مفاهيم القرآن: إنَّ في القرآن دُررًا غالية من المفاهيم والمعارف لا تُنال إلاَّ بالتدبير والتفكير فيها؛ يقول سبحانه: ?كَتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ? (2)؛ وقال الرسول صلى □□ عليه وآله: "هو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن؛ فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق... فليجل جالٍ بصره وليبلغ الصفة نظره... فإنَّ التفكير حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور" (3). والى هاتين القاعدتين أشار الإمام بدر الدين الزركشي بقوله: "أصل الوقوف على معاني القرآن التدبير والتفكير، واعلم أنَّه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة أو إصرار على ذنبٍ أو كبرٍ أو هوىٍّ أو حبٍّ الدنيا، أو يكون غير متحقق الإيمان ضعيف التحقيق، وهذه كلاًها حجب وموانع _____ 1- الإتيان في علوم القرآن 4: 216، والآية 146 من سورة الأعراف. 2- سورة ص: 29. 3- الأُصول من الكافي، الجزء 2، كتاب فضل القرآن، الفصل 1، الحديث 2.